



أذنٌ واعية

الخطب

خطبة جمعة

2025-07-25

سورية - دمشق

مسجد عبد الغني النابلسي

ملاحظة : النص تفرغ آلي سيتم إضافة النص بعد التنسيق قريبا

يا ربنا لك الحمد ملء السماوات والأرض، وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد أهل الثناء والمجد. أحق ما قال العبد وكلنا لك عبد، لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، غنى كل فقير، وعز كل ذليل، وقوة كل ضعيف، ومفرج كل ملهوف، فكيف تنقذ في غناك؟ وكيف تصل في هداك؟ وكيف تدل في عرك؟ وكيف تضام في سلطانك؟ وكيف نخشى غيرك. والأمر كله إليك. وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله أرسله رحمة للعالمين بشيرا ونذيرا، ليخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات القربات، فجزاه الله عنا خير ما أجرى نبياً عن أمته. اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أصحاب سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليماً كثيراً. وبعد، فيا أيها الإخوة الأكارم، الخمر نوعان رئيسيان، خطب في الوعط، وهذه كثيرة، وخطر في الوعي، وهذه للأسف نادرة، وخطب الوعط مهمة.

ومطلوبة، تحرق القلوب وتحض على العمل الصالح، وعلى الاستقامة، على منهج الله تعالى، لكنها لا تكفي وحدها، فكم من سلوكات أراد أصحابها بها خيرا، لكن بسبب ضعف الوعي والادراك، أدت تلك السلوكات إلى شر مستطير، وأما خطب الوعي فهي قراءة للتاريخ وفهم للواقع واستشراف للمستقبل، فهي تدفع إلى العمل في محصلة الأمر، لكنه العمل عمله الناشئ عن الوعي، وعندما يكون العمل أعمق أثراً وأطول أمداً وأعظم تأثيراً وفعالية وتأثيراً، أيها الأخوة الكرام، لكن خطب الوعي ثقيلة على النفس والفكر إلا أنه علاج لا بد منه لا سيما في ظروفه الراهنة، والعلاج كثيراً ما يكون مرا، أيها الأخوة الكرام، لقد مررنا في الأيام الماضية بطرق صعبة في بلدنا، ولقد طهر على وسائل التواصل والإعلام من الأخطاء الكارثية وحتى ممن يسمون النخب، ولا أحب هذه التسمية، ولكن لتعلموا أن اقصد وحتى ممن يسمون النخب الدينية والسياسية والاقتصادية ما لا حصر له من المشكلات، وهذا يدل على ضعف في الوعي العام، وهنا لا أقول أن كل امريء يجب أن يكون واعياً ملماً بالأحداث من حوله سياسة ودنيا واقتصاد، ولكن هناك خيار اسمه الصمت، ان يصمت الإنسان ان تكلم تكلم بإدراك ووعي او فليصمت.

والنبي صلى الله عليه وسلم يقول من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيراً أو فليسكت خياران، أنت في بحيرة وأنت في بحيرة، اما ان تتكلم خيرا، وهناك خيار اسمه الصمت. وفي الحديث الشريف، من صمت نجا من صمت نجا، نجا من المسؤولية بين يدي الله تعالى، نجا من تعلق حق برقبته، نجا من اتهام بريء بتهمة باطلة، نجا من دم، ربما اشترك وهو لا يدري، نجا من فتنة عظيمة تعقل برقبته، قال تعالى، إنا لما طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها أذن واعية، الأذن الواعية أيها الكرام تسمع وتعقل، ثم تكلم أو تكتب منشوراً على وسائل التواصل، تسمع، تعقل، تنشر، هذه هي الترابية، أما تسمع وتنشر مباشرة أذاعة بالامل، ولو ردهه إلى عصرهم الذي تعذروا به، أو قل ما خطاهم الاستراتيجي بالعبارة الحديثة، وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير، لا نكتفي بالسماع بل نصيف إليه العقل، أي فهم المعلومة وربطها بمحيطها، أما سماع المعلومة ثم نقلها قبل التحقق منها ووعياهم وفهم المراد من نشرها فقد يكون فيه إثم كبير. يقول صلى الله عليه وسلم.

كفى، كفى بالمرء إنما أن يحدث بكل ما سمع بعد الأذن الواعية، يسمع فيحدث بما قالوا لي، منقول، العهد على الناشر، أنا لا علاقة لي ويطن انه يخلي مسؤوليته، انا كتبت بعد المنشور منقول منقول عنه، ومن الناقل؟ وهل هو ثبت؟ وهل هو ثقة؟ أيها الأخوة الكرام، قد سمى المولى جل جلاله من لا يتحققون من الخبر، قال تعالى يا أيها الذين امنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا، التبين والتثبت، وذلك جل جلاله من يذيعون الخبر دون عقله وفهمه، ومن اعظم ما يعقل به الخبر ان يرد الى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وإلى العلماء القادرين على الاستنباط، قال تعالى وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أو أذاعة ادعاه مباشرة أذاعه بالامل، ولو ردهه إلى عصرهم الذي تعذروا به، أو قل ما خطاهم الاستراتيجي بالعبارة الحديثة، وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير، وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير، اما انه معطل السمع لا يريد ان يسمع، او انه سمع، لكنه لم يعقل، فقط سمع أذنه ليست واعيه، فاستحق النار، وفي الخاليتين كأنه لم يسمع.

النتائج متشابهة، لو كنت امام انسان، ووجدت على كتفه عقر، أقسم على نفسي، فقلت له يا فلان على كتفك عقر، لم يسمع سمعه ضعيف فما تحرك مشكلة، الحالة الثانية، يا فلان على كتفك عقر، سيع، التفت إليه، قال لك شكرا على هذه الملاحظة الجيدة، أنا أشكر لك معروفك معي، هل سمع ما قلته؟ لا والله، لو سمع لاستجاب ولا، انتفض فوراً وألقى، اللباس من على كتفه، ونجا من العقر ومن لدغته، لكنه لم يسمع، قال تعالى، وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير، وقال تعالى ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون، لم يستجيبوا، يسمعون فقط ولا استجابة، أيها الأخوة الكرام، لقد شاهدنا جميعاً ما حصل، وأصدقكم القول ان من اعظم ما ساءني شخصياً في الحدث انني كنت اذا تابعت ما يقوله الناس لا سيما الطبقة المثقفة، هالتي، هالتي انجراهم نحو الكلام لمجرد الكلام والمسارة الى نقل الاخبار على صفحاتهم والمسارة الى تلبية طلبات الجمهور، فبدلاً من ان يقودوا الناس بصوت الحكمة والتعقل أصبحت الناس تقودهم الى العواطف وإلى رداد الفعل المخزية، انما تعالى إذ تفقهوا بالنسك وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم وتحسبونه هيناً وهو عند الله عظيم.

أيها الأخوة الكرام، ما يجري في بلدنا اليوم لا يقرأ منفصلاً عن سياق العام والوعي به مطلوب، معظم الحكومات، لا سيما المستبدة منها، تقوم على ايديولوجيا او فكر معين، وتدعي انها تحضي من أجل هذا الفكر وتقاتل من أجله، ليكون ذلك مبرراً لاستمرار وجودها، النظام القائم منذ سنتين عاماً كان يقوم على ايديولوجيا حزب البعث ويرفع شعاراته ويدافع عن مبادئه بزعمه، رغم أنه منتحل من كثير من مبادئه وهو أول كافر بها، الوحدة والحرية والرسالة الخالدة، وهو أول الكافرين بها، لكنه يدافع عنها لان وجوده مرتبط بها ويدافع عنها بزعمه، بأن زوالها يعني زوالها، ولقد كان من ضمن فكر هذا الحزب الحرب على الدين، الحرب على الدين بطريقة خبيثة عن طريق حصره في المساجد مع رقابة شديدة، ومنع امتداده الى مفاصل القرار وإلى الدوائر العامة او حتى الى المجتمع، ومن أجل ذلك حصر التعليم بيده وحده، تعليم الجيل بيده، وأنشأ لكل فئة منظمة الابتدائي، طلائع البعث الاعداوي والثانوي، اتحاد شبيبة الثورة الجامعي، التدريب الجامعي، فكل مرحلة هو يتولى تثقيفها بما يريد هو، سوريا الجديدة لا بد ان تفك على ايديولوجيا لا تقوم دولة الا على شانك.

لا يقوم نظام الا على ذلك، وتلك الايديولوجيا لا ترغب الغرب والصهيانية، لو كانت عميلة تابعة لهم تأتمر بأمرهم، قال تعالى، ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، فاذا اتبعنا ملتهم رضوا عنا وأغرقنا بالخيرات كما يقال، والخير من الله وحده، ولا تخيفهم ايضاً تلك الايديولوجيا لو كانت تدبنا مشوها، لو كانت متدنية، لكن تدبنا مشوها، لا تخيفهم، وقال ان التشويه هنا، اما التنازل عن التوابت، التفتل بدعوى التجديد في الدين، او التشديد الذي يفر الناس من الدين، هذه ايضاً لا تتفق ان تدبنا تلك الايديولوجيا لو كانت تدبنا مشوها، الدين ليس فيه جهاد، ليس فيه حجاب للمرأة، هو مجرد صلاة في المسجد لا يخيفهم، أو كان تدبنا مشوها بطريقة التنفير من الدين، يعني إذا رأيت الصورة النمطية للمتدين رجل قاسي الطبع جالس يتعامل مع الناس بقسوة أيضاً لا تخيفهم، قال تعالى، وإن كادوا ليفتنوك عن الذي أوحينا إليك لتفtri علينا غيره وإذا لاتخذوك خليلاً، شوهت الدين اتخذك خليلاً، حبياً، صديقاً، عنده مشكلة، معك، عنده مشكلة مع الدين الحق مع التدين المشوه، ما عنده مشكلة التدين المغشوش.

أيها الكرام لا يخيف الغرب ولا يخيف الطغاة، بل يستخدمونه لإحكام السيطرة على الشعوب، من هنا كان ماركس وأنا لا أحب الاستشهاد بهؤلاء على المنابر، ولكنني مضطر هنا، كان ماركس يقول الدين زفرة المخلوق المظلوم، قلب عالم لا قلب له، جميل الكلام، الدين قلب عالم لا قلب له، كما انه روح الاوضاع التي بنا روح، من يقول بعدها، والدين آفيون، الشعوب محذر، كيف ذلك؟ ما يرى أن الدين يحقق شئين متعارضين، إما أن يكون يعري الناس، يخفف مصابهم والأمهم، أو أن يكون نفسه محذراً للشعوب بمنها من المطالبة بحقوقها، يزعزع أيها الكرام، الدين انزله الله تعالى ليزيل اليأس ويرفع الظلم ويدفع الى العمل، ويشجع على التعاون، وينبذ الطائفية والعصبيّة والقبلية، وينبذ الاوطان ويدفع العدوان، لكن التدين المغشوش يزعزع العداوات ويدفع التغيير ويدفع الى الفوضى، ويستخدم الطغاة لتخدير الشعوب ونهبها عن المطالبة بحقوقها، وتنفيذ الناس الى الدين، هذا التدين المغشوش، الدين يجمعنا، شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه، الدين لا يفرق بين الناس أيها الكرام.

أحداث السويداء الأخيرة ليست نزاعاً داخلياً فحسب، وإن كانت لا تخلو من ذلك، لا تخلو من ذلك، فالعدو لا يدخل من حدودنا، يحبونا، لكنهم يتسرب كالنمل من عيوبنا، ولكننا حرب، في حقيقتها، يشنها العدو الصهيوني، لأنه يستشعر الخطر، وفي ظل هذه الحرب، ليس لنا ترف الخيارات، ما عندنا خيارات، أجبنا أم كرهننا، خيارنا الوجد أن نفق مع شعبنا ومع دولتنا، وأن نهض، وأن ناصحاً، وأن تسارع بمقايعة ومحاسنة كل الجموع التي تبحث عن لقمة تأكله، بل عن لقمة تطعمها لأطفالها، ليس هناك وقود لتشغيل المستشفيات، المرضى يموتون على المسيرة هذه، هذا هو عدونا، وهذه حربنا علينا، في بعض الأحيان تصل إلى نقطة تنشر معها ان الكلمات عاجزة عن التعبير، وان الصمت اقولها صمتاً، صرخي واسمعي يا امتي، ما عدت أصبر ان يموت بياني، عليك بالجنوني سكوتي والبيكاء، انا لست منشغولاً على الخزلان، انا مسلم، والمجد يقطر كالندى، والعز كل العز في ايماني، ابن الذين تشددوا بعروبة، وعزة تصفع وجه كل جبان، ابن الحقوق وقد ايدت امة، وأنا الملام، إذا صرخت كفاني، سلمت.

سلمت علي، حفظاً للحقوق، لهرة الهرة الأولى من الإنسان، في كل يوم تستباح مدينتكم، ابن الذين تزههم احزاني، كل الحقوق مصانة في عرفهم، إلا حقوق امة القرآن، اني وإن يكن البكاء نقیصة، ابكي لحال في سائر الأزمان، أيها الكرام، عندما نتحدث عن بلاد الشام عموماً وفلسطين من بلاد الشام، بل ان بركة بلاد الشام مستمدة من الأقصى الذي باركنا حوله، نتحدث عن دمشق على وجه الخصوص، فأنت نتحدث عن مدينة انتشرت منها الفتوحات الإسلامية شرقاً إلى آسيا الوسطى وبلاد ما وراء القل، وغرباً إلى شمال أفريقيا والأندلس، وشمالاً إلى الأناضول، نتحدث عن بلاد بشر النبي صلى الله عليه وسلم بفحتها وذكر فضلها في أحاديث كثيرة، طوبى للشام، قلنا لأي شيء ذلك يا رسول الله؟ قال، لأن ملائكة الرحمن بأسطلة أجنتها عليها، عليك بالجنوني سكوتي والبيكاء، انا لست أرضه يجتني إليها خيرته من عباده، ولئن غاب عنا ذلك أو بعضه فإنه لا يغيب عن أعدائنا أن نهوضا وضوحته لا تعني هلاكه، هما مشروعا انهض وضوحنا انتهوا، هم يعون هذه الحكمة، إما نحن أو لا يمكن، الحق يزهق الباطل، يدركون تماماً ما معنى أن تعود دمشق لأهلها، وأن تنهض من كبوتها، ويدركون النور الذي ستنتشه الشام إذا أخذت قرارها وأمسكت بزمام أمورها.

أيها الكرام، بعد سقوط الخلافة العثمانية بما لها وما عليها، لكن الخلافة كانت توجد المسلمين من أدناه إلى أقصاه، بعد سقوطها تم تقسيم البلاد العربية والإسلامية وفق سايكس بيكو، ثم بعد عشرين سنة فقط زرع الكيان المجرم في أرض الشام تحديداً لكي يمنع نهوضنا، ولكي يكون من أولى مهامه الجيولة دون تجمعنا من جديد، واليوم يتضح بلاء ان مشروعه الجديد هو تقسيم المقسم وتجزئ المجزأ وإضعاف الضعيف أكثر وأكثر، ولن نتجو من هذه المكائد إلا بأذن واعية نسمع وتعقل وننتقل الوعي ونربي الجيل على معرفة عدونا وماذا يريد منا ولماذا يشن حربه علينا، ثم أعداد انفسنا واولادنا لنحمل المسؤولية والابتعاد عن المساهمة في تحقيق مآرب عدونا دون شعور منا، عن طريق إثارة الخلافات ضمن أبناء الصف الواحد، فلا تفرق في ديننا شيعا وأحزابا، قال تعالى إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لنسميهم في شيء، لست منهم في شيء إنما أمرهم إلى الله ثم ينتهزم بما كانوا يفعلون، حاسبوا انفسكم قبل ان تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل ان توزن عليكم، واعلموا ان ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيخطئ غيرنا إلينا، فلنخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها.

ونتمنى على الله الأماني، واستغفروا، والحمد لله رب العالمين، وأشهد أن لا إله إلا الله ولي الصالحين، اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما صليت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد، كما باركت على سيدنا ابراهيم وعلى آل سيدنا ابراهيم في العالمين أنك حميد مجيد، اللهم أغفر للمسلمين والمسلمات الاجياء منهم والاموات، إنك يا مولانا سمع قريب مجيب الدعوات، اللهم برحمتك عمنّا وأغفر اللهم شر ما همنا وأغتنا، وعلى الإيمان الكامل والكتاب والسنة، بغفلتنا لتفانك وأنت راض عنا، لا اله الا انت سبحانه إنا كنا من الظالمين وأنت أرحم الراحمين، وارزقنا اللهم حسن الخاتمة، واجعل اسعد أيامنا يوم تلقاك وأنت راض عنا، انت حسبتنا عليك اتكالنا، اللهم اهلنا في غرة كل لهم عوناً ومعيناً وناصراً وحافظاً ومؤيداً واميناً، اللهم أعلمهم من جوع وامنهم من خوف، اللهم أعلمهم جاتهم واكنس عياله وأرحم مصابهم وقاوم غريبه، واجعل لنا في ذلك عملاً متقبلاً، وسهماً صالحاً، وأهتماً طريقاً لنصرتهم، وأغفر لنا تقصيرنا فإنك أعلم بحالنا، اللهم قد تخلى عنهم القريب والبعيد، وما لهم ناصر إلا أنت سبحانه يا أرحم الراحمين.

اللهم كل لهم عوناً ومعيناً وناصراً وحافظاً ومؤيداً واميناً، اللهم بشيرا السحاب منزل الكتاب هازم الأحزاب سريع الحساب، اهزم الصهاينة المعتدين ومن والاهم ومن أيدهم ومن وقف معهم في سر أو علن، والسرير كيدهم عنا يا أرحم الراحمين، واشغلهم بأنفسهم يا أكرم الأكرمين، يا رب قد أريتنا مكرمهم بنا فارنا مكرك بهم وأنت خير الماكركين، وأنت خير الماكركين، اللهم إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا، فيا أرحم الراحمين عبادك المستضعفين في فلسطين وفي غزة وفي جميع بلاد المسلمين، اللهم هبّ لهذه الأمة أمر رشد يعز فيه أهل طاعتك، ويهدي فيه أهل معصيتك، ويؤمر فيه بالمعروف، وينهى فيه عن المنكر، إنك ولي ذلك والقادر عليه، اللهم انصرتنا على انفسنا وعلى شهواتنا حتى نتصير لك، فنستحق أن تنصرتنا على أعدائنا، اللهم يا أرحم الراحمين اجعل بلادنا وبلاد المسلمين سحاء رخاء يسبط عليها من عذابك، وانت وامانك يا أرحم الراحمين، أي في هذه الأمة من يقوم بأمرها ومن يرفع عنها الظلم والعدوان، إنك ولي ذلك والقادر عليه ووفق ولاة المسلمين لما فيه خير البلاد والعباد يا أرحم الراحمين، أقول ما سمعون واستغفر الله.